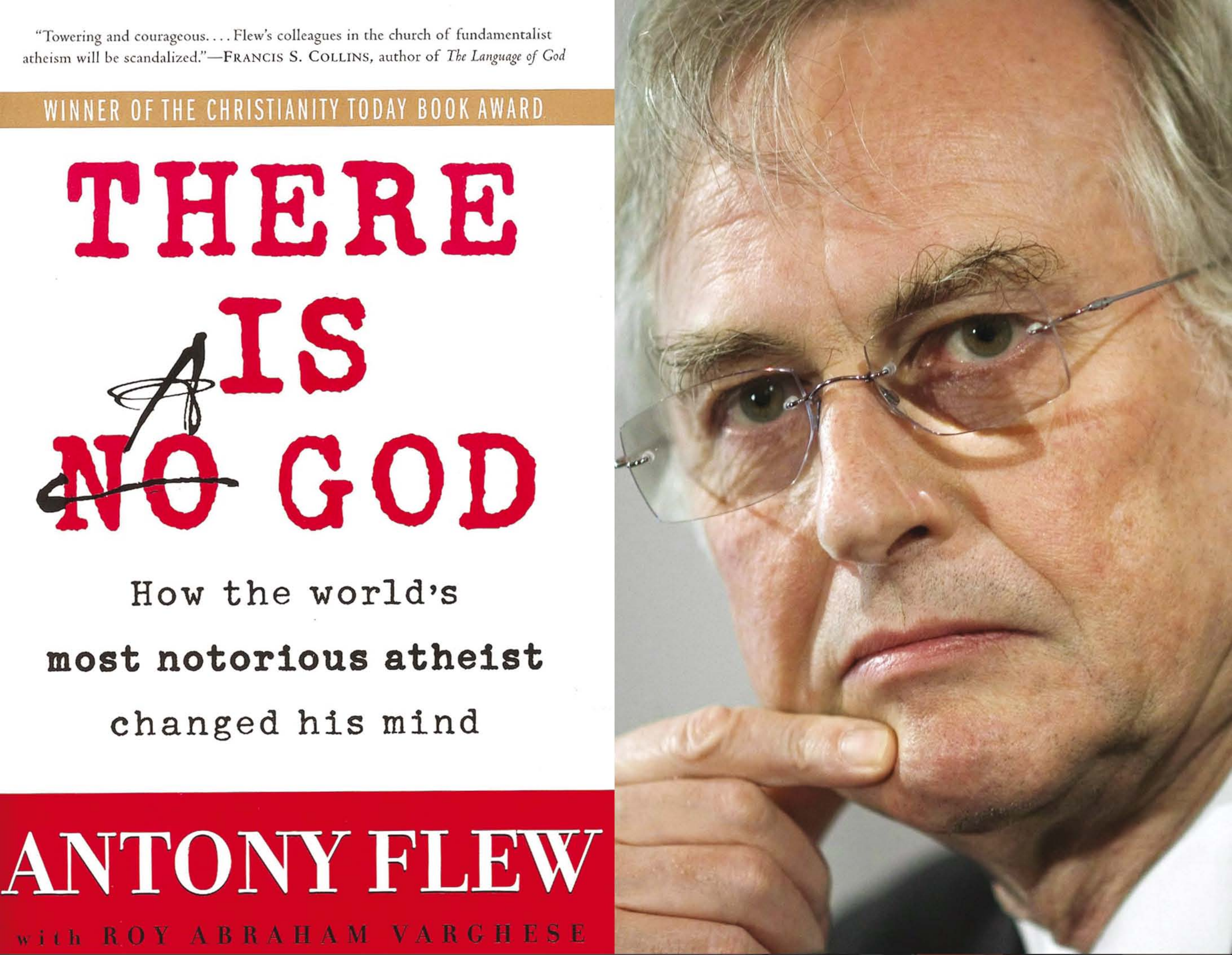


خطة معرفية للعمل في ملف الإلحاد

كتبها

د. حسام الدين حامد

تحرير

أدهم حسين عبد الباري

هدية العدد

حراس الشريعة | العدد الرابع - شعبان ١٤٣٤

خطةٌ معرفيةٌ للعملِ في ملفِ الإلحادِ

كتبها

د. حسام الدين حامد

تحرير

أدهم حسين عبد الباري

إصدار خاص

مجلة حُرّاس الشريعة

العدد الرابع

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه، أمّا بعد:

فهذه ورقاتٌ بين يدي طلاب العلم والباحثين تطل على خارطة "الإلحاد"، تكشف أنواعه وحدوده، وترصد أسبابه، وتنبه إلى أصوله العلمية والفلسفية. إطلالة تعين المتصدرين على الإحاطة بأهم مباحثه، ثم تبين أمثل الطرق لمواجهته وعلاج من ابتلي به، فالإلحاد داء، ودواؤه مركب من مجموع أمور متى نقص منها جزء نقص من الشفاء بقدره، فمن أخذ الأمر بحقه علمًا ودراسة كان أهلًا لأن يهدي الله به من ألحد -جهلًا- بجوابٍ مقنع بإذن الله، والله نسأل أن يجعل هذا العمل صوابًا خالصًا لوجهه الكريم.

▪"رأيت اليوم ملحدًا!"

بكلام ملؤه الدهشة والرهبة، أو بصوت خائف قلق تبدأ الحكاية بكلمة "رأيت ملحدًا!". وقد تبدأ الحكاية من فم المُلحد نفسه تصبغها مشاعر شتى، ما بين تعالٍ وكبر، أو خوفٍ ووجل، أو سؤالٍ واستفهام، أو حيرةٍ واضطرابٍ وفزع!

وكما أن من سعادة الأعجمي والعربي إذا أسلما أن يوفقا لصاحب سنة، فمن رحمة الله أن يوفق من ابتلي بالإلحاد لعالم حاذق

بصير، لا من مس الباب مس خفيفًا أو طالعه في أوقات فراغه فيضله ويعين شيطانه عليه. وهذا مما يجب التنبه له قبل خوض هذه الغِمار، فهذا شأنٌ إن تصدّر له من لا يُحسنه ظهرت عاقبة أمره سوءًا عاجلًا، كما سيتضح من خلال ما يأتي من إيضاح لتشعب مسائل الإلحاد وغموض وتخصُّصية الكثير منها.

▪ ويسألني صاحبي: هل أنا ملحد؟

قد تقرر أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره تصورًا يحيط بجوانبه ويكشف ملابساته، ويتعمق في ظاهره وباطنه. ولذلك فأوّل ما ينبغي البدء به هو التمييز بين الملحد والموسوس؛ ففرق بين صاحب الوسواس القهري والاضطراب النفسي، وبين من يقف على حافة الإلحاد ويرعى حول الحمى. وبين من تردى في هُوّة الإلحاد السحيقة.

▪ ما ينبغي في حق صاحب الوسواس أو الاضطراب النفسي

فينبغي على المتصدر الإلمام والتمرس على التشخيص النفسي والوقوف على أهم الاضطرابات النفسية التي تؤدي بالفرد إلى الإلحاد، وكذلك المعرفة التامة بالوساوس القهرية وطبيعتها ودرجاتها المختلفة، ويمكن الاستعانة بالمتخصصين في علم النفس والطب النفسي لإزالة الالتباس بين الوسوسة وبين عموم الاضطرابات النفسيية. أو من خلال تحليل في شكل سؤال وجواب بأسلوب

مختصر سريعٍ جذاب يكشف طبيعة وعمق الإشكالية النفسية للملحد، ومن خلالها يستطيع المتصدر لهذا الشأن التشخيص الجيد ومعرفة العلاج الأمثل لكل حالة بحسبها.

▪ما ينبغي في حق من يقف على حافة الإلحاد

الوقاية والعلاج مسلكان شرعيان، دلّت عليهما نصوص الوحي الشريف، واتفقت عليهما كلمة العقلاء؛ ولذلك حذرنا الشارع سبحانه من اتباع "خطوات" الشيطان، وجاءت الشريعة بسد الذرائع.

- ولذلك فالتحذير من اتباع خطوات الشيطان الداعي إلى الإلحاد المتوعد بتغيير خلق الله وفطرة الله =يتم من خلال تناول موقف المسلم من المواقع الإلحادية، ومواقع الشبهات، وأثر الإكثار من زيارة هذه المواقع على المسلم حتى إن لم يقتنع بها. وعلى المتصدر لهذا الشأن بث تلك المعاني في مقابل الدعاوي الكثيرة للانفتاح على الباطل ونشر الإلحاد، تحت شعار الحريات بمفهومه المصادم للشريعة.
- ومن الوقاية أيضًا بث العلوم الشرعية ونشرها والحث على طلبها، كي يحيط المسلم نفسه بسياجٍ يحميه من شبهات الإلحاد.
- ويستعان على هذا المطلب بنشر حوارات بعض الملاحدة العرب الذين تحولوا من الإلحاد إلى التوحيد؛ ففي قصصهم عبرة، على

أن يكون الحوار موجهًا نحو استخلاص الفوائد من هذه التجارب، وإبراز تلك الفوائد والإشارة إلى العناصر المتكررة والخبرات المشتركة في تلك التجارب.

▪ في بيتنا ملحد؟!

في الغالب يكون إعلان فردٍ ما لإلحاده مفاجأةً لمن حوله، فكثيرون في مجتمعاتنا العربية لا يعرفون بوجود الإلحاد بمعنى إنكار وجود الخالق عز وجل، وإن تصور أحدهم فكرةً كهذه فإنّه يستنكر أن يكون هناك من يقتنع بها، وهذا لا يمنع من وجود طائفةٍ من الناس في مجتمعاتنا لا تستغرب وجود الملحدين في العالم العربي، بله أن يقابلوا أحدهم ويجالسونه، إلا أن وجود هذه الطائفة –مهما ازداد أفرادها– لا يعني تجاهل حقيقة أن السواد الأعظم من الناس في بلادنا لا يعرفون شيئًا عن الملاحدة ولا الإلحاد.

وفي الوقت الذي يخرج فيه الملحد عن صمته، تظهر الحاجة الملحة لكافة الأدوات المعرفية الضرورية للاشتباك الصحيح مع الإلحاد، والتعامل والنقاش مع هذا الملحد الذي يعلن اقتناعه بالإلحاد. ولذلك كان لزامًا علينا بيان ما ينبغي تناوله في هذا الشأن؛ من خلال النقاط التالية:

◈ التعريف بالإلحاد وأنواعه:

ينبغي على المتصدرين لهذا الشأن العناية بتعريف الإلحاد تعريفًا لغويًّا ثم فلسفيًّا، دون الخوض في تفاصيل لا يُرجى من ورائها مردودٌ في الواقع، مع التطرق لموقف فلاسفة الإلحاد المعاصر من هذا التعريف، ثم توضيح تقسيمات الإلحاد وأنواعه المختلفة على النحو التالي:

- Agnostic/Gnostic
- Negative/positive
- Broad/narrow
- Unfriendly/indifferent/friendly
- Closet/open
- Religious/non-religious
- Passive/evangelical/active/militant

مع التأكيد على أهمية الوعي بهذه الفروق في التعامل مع الملحد، بدءًا من تحصيل الثقة المستمدة من الوعي بنوع الملحد الذي تحاوره، وانتهاءً إلى تفاصيل اختيار المنهج المناسب للحوار مع الملحد. ويتنبه أيضًا لمحاولات تلميع المصطلح وتحويره وتغييره. وينبغي أيضًا ضبط الألفاظ المشتبكة مع الإلحاد والقريبة منه، مع بيان علاقتها به كالمصطلحات الآتية:

- الشرك polytheism

- الربوبية Deism
- اللاأدرية Agnosticism
- المذهب الإنساني Humanism
- الحداثة Modernism
- ما بعد الحداثة Postmodernism
- الاستشراق Orientalism
- الشيوعية Communism
- المذهب الطبيعي Naturalism
- العقلانية Rationalism
- الفلسفة الوضعية Positivism
- العلمانية Secularism
- الشك Skepticism

- **الفرق بين الشك المنهجي والشك الكلي.**

ومن التعريفات ينتقل الباحث للنظر في الطبيعة العدمية السلبية للفكر الإلحادي، أو ما يمكن وصفه بمعقولية التبشير بفكرة سلبية في الأساس، ويناقش في هذا الإطار سؤال: "هل الإلحاد الإيجابي Strong or positive atheism ممكن؟".

وفي إطار ما سبق نشير إلى أن الملحد -في حقيقته- صاحب عقيدة وإن كانت منحرفة، بل إنّه كصاحب أية عقيدة قد يكون دوغمائيًّا متعصبًا. وترجع أهمية هذا الطرح إلى أن بعض الملاحدة العرب يظن نفسه بإلحاده في موقف حياد، وكذلك يظن أنّه بإلحاده ليس صاحب عقيدة، وكذلك يظن أنّه بعيدٌ عن التعصب وكل هذه النقاط ينبغي الوقوف عليها والعناية بها كضرورة لفهم الإلحاد فهمًا صحيحًا.

◈ هل وصل الإلحاد إلى بيوتنا؟!

وفي إطار الكشف عن امتدادات الإلحاد ومناطق انتشاره، يطرح هذا السؤال نفسه عندما تجد إحدى الأسر نفسها أمام أحد أفرادها ملحدًا، ويتزامن هذا السؤال مع سعي الملحد في اتجاه "الاستكثار" برفقاء دربه في الإلحاد، فليس هو وحده من ألحد، بل زملاؤه من فلانٍ وفلانٍ، وأستاذه في الجامعة، وهناك مواقع كاملة تدعو للإلحاد، وكسر هذا الحاجز "حاجز الشذوذ" قد يؤدي إلى التهوين من شأن المسألة، بل قد يؤدي إلى انزلاق أفراد أخرى من صغار السن في تلك الأسرة على ذات المنحدر.

▪ بداية الصحوة الإلحادية

يُرجِع كثيرٌ من المتابعين بداية صحوة الإلحاد في الولايات المتحدة إلى كتاب سام هاريس "نهاية الإيمان" The end of faith،

والذي بدأ في كتابته وجمع مادته فيما بعد أحداث ١١ سبتمبر، ثم توالت بعد ذلك الكتب الداعية للإلحاد، ليبلغ الزخم أشده في سنة ٢٠٠٧م، فيظهر تقريرٌ مصوّرٌ على قناة CBC news في نفس السنة بعنوان "الإلحاد ينتشر في العالم"، والغرض المقصود من هذا أنّ كسر "حاجز الشذوذ" عاملٌ مساعدٌ جدًّا في قضية التعامل مع الإلحاد.

ولذلك تبقى القضايا ذات الصلة بهذه الجزئية كالحفاظ على "حاجز الشذوذ" في التعامل مع الإلحاد من خلال عدم الإعلان، وحرص الجهات المعنية على قدر من السرية في التعامل مع الملحد بدءًا من الاستتابة والمناظرة، مرورًا بالعلاج، وصولًا إلى القضاء =من الأهمية بمكان، وضرورة لحصار الإلحاد وحرمانه من أسباب البقاء والانتشار.

◈ ديموغرافيا الإلحاد

من الأهمية بمكان إلمام المتصدرين لهذا الشأن بأشهر المنظمات والكيانات الإلحادية في العالم، وطبيعة عملها، والأنشطة التي تحاول الانتشار من خلالها؛ فلابد من الاستعانة بالدراسات الميدانية، واستطلاعات الرأي، والاستبيانات التي تبيّن تصور الشرائح المختلفة من المجتمع لوجود الملاحدة فيه.

ويتم تناول تلك المعلومات في ضوء القواعد العلمية القاضية بأن الحقّ لا يرتبط بالعدد، وأنّه حتى لو أصبح المسلمون قلةً في مجتمعٍ ما فإنّهم على الحق.

▫ لماذا هو ملحد؟!

وانطلاقًا من فَهم المقصود بالإلحاد فهمًا دقيقًا، مرورًا برصد ديموغرافية الإلحاد =يأتي فهم البواعث أو الدوافع كشرط أساسي لبناء تصور صحيح عن الحالة الإلحادية، ومن ثَم يُمكننا تقسيم الإلحاد من حيث دافعه إلى نوعين كبيرين:

أولهما: الإلحاد النفسي.

وثانيهما: الإلحاد العلمي.

وقد ينفرد الأول، أما الثاني فلا ينفرد أبدًا، ولكلّ منهما طريقته في الطرح، وأسلوبٌ خاصٌّ في التعامل، وعليه فالتفريق بينهما مهم، وهو -مع قليلٍ من الخبرة والذكاء- سهلٌ يسير.

▪ آداب الحوار مع الملحد

ينبغي على من وفق للتصدر لهذا الشان الإلمام الجيد بقواعد المناظرة والجدل، والاختيار المناسب للغة الحوار التي يحسن استعمالها مع الملحد، والتميّز بين الملحد لأسبابٍ نفسيةٍ والملحد لأسبابٍ علمية؟

▫ كيف ينظر الملحد إلى مجتمعه وأهله وأسرته؟

وكمدخل لفهم نظرة الملحد إلى مجتمعه لابد من الأخذ في الاعتبار الدوافع النفسية والاجتماعية الدافعة للإلحاد، ويمكن إجمالها في الآتي:

- **دوافع الإلحاد النفسية:**

- الشعور بالدونية تجاه الغرب.
- انحطاط قدر الأسرة في نفسه.
- النفور النفسي من القضايا الغيبية، ومحاولة تنزيه نفسه عن "الخرافة".

كما يمكن الإفادة من دراسات أكاديمية مثل دراسة بول فيتز the psychology of atheism وما يشبهها من دراسات أكثر تحديدًا في بسط القول في هذه النقطة.

كما يمكن الإفادة أيضًا من الحوارات مع الملاحدة الذين تحولوا للتوحيد، والتي سبق أن أشرنا إليها في تسليط الضوء بشكل مكثف على هذه المسألة.

فلابد إذن من الوعي بالطريقة المناسبة للتعامل مع الإلحاد النفسي، واختيار الأشخاص المناسبين لذلك؛ لاسيما الممارسين منهم ومن هم على دراية بأهم الحيل النفسية الدفاعية التي يلجأ إليه الملحد النفسي.

الطريقة المناسبة للتعامل مع الإلحاد العلمي والأشخاص المناسبين لذلك

◈ مقدمةٌ لمواجهة الإلحاد العلمي: المغالطات المنطقية

وكمدخل لفهم ومواجهة الإلحاد العلمي بشكل صحيح لا بد من الإلمام بأهم وأشهر الكتب التي يعتمد عليها الملاحدة. والوقوف على أسباب الإلحاد العلمي وأهم أصوله ونظرياته، والمعرفة الجيدة بالعلوم التي تمس الموضوع العقدي، ونشير في النقاط التالية لأهم تلك الموضوعات.

▢ أسباب الإلحاد العلمي:

يمكن رصد السبل التي ينتهجها الملحد -زاعمًا أنّه بنى إلحاده على حجةٍ علمية- في أربع سبل:

- **الاتجاه الأول**: يسلكه أصحاب الإلحاد الإيجابي؛ من أجل إقامة الدليل على عدم وجود إله.

- **والاتجاه الثاني**: يسلكه أصحاب الإلحاد السلبي؛ من أجل نفي الأدلة التي يطرحها المؤمنون بوجود الله.

- **الاتجاه الثالث**: يهدف إلى الطعن في الأديان من أجل الطعن في المتدينين عمومًا، وهذا الاتجاه الثالث كما يوحي ظاهره ينبغي أن

يختص به اللادينيون، إلا أن هذا لم يمنع الملاحدة من سلوكه من أجل الطعن في الدين وإن كان لا يوصل إلى الإلحاد، إلا أن اللادينية أقرب رحمًا وأوثق صلةً بالإلحاد من الأديان، فلا بأس إذن!

- **الاتجاه الرابع:** يتمثّل في تحويل الدين والتدين إلى ظاهرة طبيعية مادية تخضع -كغيرها- للتفسيرات العلمية دون أية قدسية خاصة بها!

▫ الاتجاه الأول: إثبات استحالة وجود إله مطلق الكمال

ويعتمد هذا الاتجاه على جملة من الأدلة، منها:

- Dialectical proof: أو الطعن في اتساق إحدى صفات الكمال مع صفةٍ أخرى؛ كسؤالهم عن استطاعة الإله خلق صخرة يعجز عن حملها.
- Evidential proof: وجود الشر في العالم، ووجود الكفر في العالم.
- عدم قابلية الاعتقاد بوجود الإله للإثبات: فهي قضايا عديمة المعني على حسب اصطلاح الوضعية المنطقية noncognitivism، أو هي غير قابلة للاختبار على حسب اصطلاح التجريبيين.

▫ الاتجاه الثاني: اتجاه يريد به نفي الأدلة التي يطرحها المؤمنون على وجود الإله

ويعتمد هذا الاتجاه على جملة من الأدلة، منها:

- إله الفجوات المعرفية.
- موقفهم من الاحتجاج بالغائية والتصميم.
- موقفهم من الاحتجاج بقصور العقل البشري.
- موقفهم من الاحتجاج بالسببية.
- موقفهم من الاحتجاج بالبرهان الانطولوجي.
- موقفهم من الاحتجاج بالبرهان الكوزمولوجي.
- موقفهم من الاحتجاج بالبرهان الأخلاقي.
- موقفهم من الاحتجاج بالخبرة الشخصية؛ كإجابة الدعاء مثلًا.
- موقفهم من الاحتجاج بصور تشبه اختبارات رورشاخ الإسقاطية.
- موقفهم من الاحتجاج بالمعجزات.
- موقفهم من رهان باسكال.

وينبغي تناول هذه المواقف بعرض واضح للدليل الذي يستدل به المؤمنون، أو بيان موقف المؤمنين منه والنطاق الذي يستدلون به فيه؛

كما هو الحال في "رهان باسكال"، ثمّ تطرح الاعتراضات المختلفة التي يتوجه بها الملاحدة لهذا الدليل على قدرٍ من الاستقصاء.

فمثلًا الاستدلال "بالتصميم في الكون"، يُقابله الملاحدة بأنّ هذا التصميم يمكن تفسيره عن طريق العلم الحديث، ثم ينتقلون إلى الحديث عن الاستدلال بالجهل أو"إله الفجوات العلمية". أو يقابلون دليل التصميم بأنّه إذا كان هذا التعقيد يدل على تصميمٍ يُستنبط منه وجود مصمِّم فإنّ الإله أكثر تعقيدًا لننتقل بذلك إلى سؤال "من خلق الإله؟".

ويكون الجواب ببسط العلاقة بين العلم وإثبات التصميم وأنّهما يتكاملان عند المؤمن دون أن يحل أحدهما محل الآخر، وكذلك يبسط القول في المغالطات الجدلية التي يحملها سؤال "من خلق الله؟!"، وهكذا يمكن تناول كلِّ نقطة من الناحية العلمية والجدلية.

- **الاتجاه الثالث: اتجاه يطعن به في الأديان؛ توصلًا بذلك للطعن في فكر المتدينين عمومًا**

ويعتمد هذا الاتجاه على جملة من الأدلة، منها:

- الاحتجاج باختلاف الأديان فيما بينها على بطلانها جميعًا.
- الاحتجاج بتردّي أحوال بعض المتدينين على بطلان الأديان.
- الاحتجاج بالأثر السلبي للأديان على بطلان الأديان.

- الاحتجاج بشبهات جزئية فرعية على بطلان الدين.
- الاحتجاج بعدم اقتناع المتدينين بدينهم، وأنّهم أخذوه بالوراثة على بطلان الأديان.

▢ الاتجاه الرابع: الدين كظاهرة مادية طبيعية غير مقدسة

وهذا الاتجاه يلجأ لتفسير الأديان كظاهرة مادية طبيعية لينزع عنها البُعد السماوي، وهو اتجاه لابد منه في فكر أي ملحد؛ فمن يؤمن بعدم سماوية الأديان لابد أن يحمل في ذهنه تفسيرًا لوجودها إلى هذا الحد على أرض الواقع، ومن أشهر كتب الملاحدة الحديثة في هذا الصدد كتاب دانيل دانت Religion as a natural phenomenon.

ولذلك ينبغي الإلمام بأشهر هذا التفسيرت وأكثرها ترداداً على ألسنة الملاحدة، ويمكن إجمالها في التفسيرات التالية:

▪ **التفسيرات الاجتماعية:**

- Marx and Engels
- Imposture
- Emile Durkheim
- August Comte

- **التفسيرات النفسية:**

- Feuerbach
- Frued
- Nietzsche

- **التفسيرات العضوية الحيوية:**

تلك التفسيرات التي يميل إليها الملاحدة الجدد، عن طريق استعمال نظرية التطور وعلم النفس التطوري evolutionary psychology في الدلالة على "إنسانية" الأديان، وأنّها لا تستلزم بعدًا سماويًّا للجواب عن مصدرها.

ولذلك ينبغي تناول هذه التفسيرات بتوضيح موضع هذه النظريات من العلم، ووزنها الحقيقي في هذه الأيام، والذي مازال له شيءٌ من الثقل إلى وقتنا المعاصر فينبغي دراسته والتعرض له بالنقد العلمي والفلسفي تفصيليًّا.

◈ فلسفة الدين Philosophy of religion

جدير بالباحثين والمتخصصين في هذا الشأن الإلمام بموضوعات هذه الفلسفة: سواء فيما يتعلق بالأدلة على وجود الإله، وتفنيد الاعتراضات عليها. أو ما يتعلق بصفات هذا الإله إن ثبت وجوده، وبيانها لاختلاف الفلاسفة في هذا الشأن، والموقف من هذا الخالق في حالة ثبوت وجوده. أو ما يتعلق بعقلانية الأديان، أو الأدلة التي

يطرحها اللاأدريون على عدم إمكان العلم بوجود خالق من عدمه، والرد عليها، وكذلك الأدلة التي يطرحها الملاحدة على عدم وجود الإله والرد عليها. فلابد إذن من الإلمام والوقوف على أهم المصادر التي تتناول فلسفة الأديان والاطلاع عليها.

ومع ما أشرنا إليه من أهمية الإلمام بهذه الفلسفة إلا أننا نؤكد أفضلية طريقة الكتاب والسنة من جهة العقل وموافقة الحقيقة، على هذه الطرق الفلسفية والكلامية. فينبغي على من تصدر لهذا الشأن الحرص الدائم على بيان العقيدة الصحيحة في الأسماء والصفات والتوحيد بأنواعه، والعناية والرجوع إلى المصادر والروافد الإسلامية للعقيدة الصحيحة.

◈ الإلحاد والأخلاق

تُعدّ هذه النقطة من أكثر النقاط المهمة في الحوار مع الملحد، وذلك أنّها تُثار كنقطة هجومية على الإلحاد، أو ردًّا على تعرض الملحد لأخلاقيات المتدينين من جهة التطبيق، فلابد من ضبط ودراسة موقف الإلحاد من الأخلاق لتستبين أزمة الإلحاد من الجهتين جميعًا، جهتي النظرية والتطبيق.

وهنا لابد من الإشارة والتنبيه على مُقدمات أساسية ستدعو حاجة الحوار عن الأخلاق إليها:

- عن الحسن والقبح العقليين Plato's Euthypho dilemma
- عن النسخ.

◻ مناقشة موقف الملاحدة من الأخلاق

▪ طبيعة الأخلاق في الإلحاد:

في الوقت الذي تُعد فيه الأخلاق عند المتدينين مبادئ ثابتة، يستدلون بذلك على سماوية مصدرها، فإنّها تكون عند الملاحدة مبادئ مجتمعية أو شخصية. فلابد من الوقوف على أهم الموضوعات التي ينبغي الإلمام بها عند مناقشة مفهوم الأخلاق من المنظور الإلحادي، نجملها في عدة نقاط وإشكالات على النحو الآتي:

- **المعرفة الأخلاقية**: في الوقت الذي يعدها المتدينون كرامة إنسانية من الخالق، يراها الملاحدة نتاجًا مجتمعيًّا أو تطوريًّا أو خليطًا من الاثنين.
- **معنى الأخلاق**: هل هناك معنى للأخلاق في عالم ماديّ؟! وإن كانت الأخلاق بلا معنى فكيف تصح المسؤولية الأخلاقية؟! هل هناك فضيلة للأخلاق في هذا العالم؟! هل الأخلاق مادية أم هناك ما وراء الطبيعة؟
- هل هناك إلزام خُلقي في عالمٍ مُلحد؟!
- هل هناك معقولية للأخلاق في عالمٍ ملحد؟!
- مواقف فلاسفة الإلحاد من الأخلاق ولا يُستغنى هنا عن مواقف نيتشه وديساد.

- **محاولات العلمانية والإلحاد لوضع منظومة أخلاقية إنسانية:** مع بيان لأمثلة هذه المحاولات، ونتيجتها، وموقف الملاحدة منها.

- الإلحاد والأناركية "الفوضوية" (ملاحظة: هناك علاقة بين فلسفة الأخلاق وتطور الفلسفة السياسية).

- **موقف الإلحاد من بعض القضايا:** مثل الإجهاض - الشذوذ الجنسي - الانتحار.

- **موقف الملاحدة من أخلاقيات المؤمنين:**

- Divine command theory
- Divine approval theory
- عبادة التجار وعبادة الأُجراء.

- **نظرة عامة على فلسفة الأخلاق Moral Philosophy كفرع من فروع الفلسفة:**

ينبغي على المتصدر لهذا الشأن الإلمام بموضوعات هذا العلم، والقضايا التي يناقشها مثل: من أين أتت الأخلاق؟ وكيف تطبق؟ ولِمَ تُطبق؟ وما الذي يجعلني أخلاقيًّا؟ وغيرها من القضايا.

ويضاف إلى ذلك الإلمام بأهم الفلسفات الأخلاقية: ليبنتز، كانت، هيجل، هيوم، نيتشه وغيرهم. والوقوف على أهم المراجع الخاصة بفلسفة الأخلاق.

◈ الإلحاد والعلم

من أكثر النقاط حيوية في الحوار مع الملحد، وتلح الحاجة إليها تقويةً للحجة، واكتسابًا للثقة، وإقناعًا للمخالف، ونفسية الملاحدة العرب –في الغالب– لا تتقبل الكلام إلا ممن يظهر لهم أنه على إلمام جيد بالعلم الحديث.

▢ فلسفة العلم:

ومما ينبغي البدء به هنا تسليط الضوء على فرع من فروع الفلسفة وهو "فلسفة العلم" Philosophy of science تناولًا للمعايير التي تتحدد بها الطريق العلمية scientific method في الإثبات، وهل هناك طرق أخرى للإثبات غير هذا الطريق؟ وهل تُرفض الأديان لأنها لا تخضع لهذه الطريقة؟ فلابد إذن من التوسع في دراسة هذه الموضوعات التي يتناولها هذا العلم مما له علاقة بالإلحاد، ونقاط الخلاف بين المؤمنين والملحدين أو الملحدين والملحدين فيما بينهم، وفي هذا السياق يتم التعرض لموقف الملاحدة من نظرية المعرفة، وبسط القول في موقفهم من البدهيات، وإلمام بمباحث فلسفة المعرفة Epistemology.

كذلك ينبغي الإلمام بما يتعلق بمفهوم الصدفة، وموقعها من الطريقة العلمية، والمقصود بها، والخطأ الناتج عن عدم تحرير المصطلح بنفيه أو إثباته على ما فيه من إجمال، مع التفريق بين معنى الصدفة

في المراجع العلمية، والصدفة التي يستعملها الملاحدة والمتعالمون كبديلٍ عن الخالق سبحانه وتعالى.

وبالمثل ينبغي الوقوف على علاقة العلم بالسببية والاستنباط والاستقراء، وموقف الفلاسفة من هذه الثلاثة، وموقف الملاحدة منها، ومعرفة موقف الإسلام منها، مع الإلمام بالخلاف الواقع بين الفرق الإسلامية المختلفة في هذه الأمور والتي حادت فيها عن منهج أهل السنة والجماعة.

وأخيرًا ينبغي على المتصدر لهذا الشأن معرفة أهم المدارس في هذا الفرع من فروع الفلسفة، وكذلك أهم المراجع في هذا المجال لاسيما كتاب كارل بوبر The logic of scientific discovery وكتاب ريتشارد دوكنز Unweaving the rainbow كنموذج يعتمد عليه الملاحدة المعاصرون في هذا المجال وينبغي التعرض له بالنقد، وغيرها مما يرى الباحث أهميةً في الدلالة عليه.

▫ موقف الدين من العلم:

من أهم ما ينبغي على المتصدرين لهذا الشأن ضبطه وتأصيله: موقف الدين الإسلامي من البحث العلمي والتطور المعرفي، باستحضار النصوص من الوحيين، واستدعاء المواقف المختلفة عبر التاريخ، مع معرفة طريقة الرد على الشبهات التي تتعرض لوقوف

الدين مع السلطان في وجه حرية الإبداع وحرية الفكر، مع التركيز على تميّز الدين الإسلامي عن غيره من الأديان في هذا الصدد، وأن التسوية بين الاثنين من الغبن والظلم.

▫ العلاقة بين الإلحاد والعلم

من أهم ما ينبغي الوقوف عليه وكشف الأوهام حوله علاقة واقتران الإلحاد بالعلم، وموقف الإلحاد من البحث العلمي والتطور المعرفي، ومعرفة العلاقة المشينة بين الإلحاد المعاصر والعلم في القرون الأخيرة في أوربا، على عكس ما يتصوره ويصوره الملاحدة، ولابد أيضًا من الإلمام بتطورات الموقف الإلحادي من العلم بمرور الأيام.

▪ موقف الإلحاد من العقل البشري

وقريب من هذا الشأن وجدير بالدراسة أيضًا ما يمكن وصفه "بموقف الإلحاد من العقل البشري"، ونظرته المادية التطورية لخصائص هذا العقل، بل وربما الحط من قيمة هذا العقل في كثيرٍ من الأحيان، على الرغم من كثرة الادعاء أن الإلحاد هو رفعة العقل وتقديم حكمه. وفي المقابل لابد من ضبط وتأصيل وحسن عرض الجانب الآخر ألا وهو "موقف الدين الإسلامي من العقل"، ذلك الموقف الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط.

❑ هل الخطأ والزيف والكذب ممكن في الوسط العلمي؟

يظن الملحد أن الحقل العلمي لا مجال فيه للخطأ، بل غالبًا ما يحمل في ذهنه صورة خيالية للمجال العلمي لبعده عنه في الغالب، ومما يُساعد هنا كسر هذه الصورة وبيان هشاشة ذلك التصور بعرض نماذج وأمثلة من الخطأ والكذب والزيف الذي وقع في الأوساط العلمية، وخذ كتابًا مثل "خوّان الحقيقة" the betrayers of truth فقد حشد من هذا الكثير.

وهنا يبرز سؤال مهم يساعد على تبديد الأوهام الإلحادية: "هل صحيح أن كل العلماء في الغرب ملاحدة؟"، سؤال يحتاج لجواب من الواقع، وهذا السؤال على سبيل التنزل، لأن الحق لا يعرف بالرجال كما تقرر.

◈ في رحاب العلوم

في كلّ مجال من مجالات العلم تقع نظرياتٌ وحقائق تتضارب بين طرفين، طرفٍ يستعملها كدليل أو قرينة تصب في مصلحة الإلحاد فيُدافعه الطرف المؤمن، وطرفٍ يطرحها كدليلٍ أو قرينة على الإيمان، وآفة عدم العلم بهذه المواضع أنّها تكون مُسكتة في مجال المناظرة، فما لا تعرفه لا تستطيع الرد عليه وينتهي الأمر.

وهذا عرضٌ مجمل لهذه النقاط من مختلف العلوم، مع ترك العرض المترابط، إلا في قضية واحدة ذكرتها على سبيل التمثيل وهي

"الداروينية"، لاعتقادي أنّ الأمر سيتحدد عند التوسع في شرح ما يتعلق بهذه النظرية أو الفرضية، عندها فقط تصبح الصورة أكثر وضوحًا للإطار العام والمسارات التفصيلية التي يراها الباحث جديرةً بإبراز فكرته وتوضيحها.

◻ الداروينية:

يسير في النهر أمواهٌ تأتي من خمسة روافد، تتلاقى وتتدافع وتمتزج أحيانًا، وينتصب بينهما برزخ في أحايين أخرى، وهذه الروافد تتمثل فيها العقائد البشرية تجاه نشأة الأنواع وأصلها، وتشمل:

- الخلق المباشر المنصوص عليه في الوحيين.
- نظرية التطور الدارويني وتعديلاتها.
- اللاماركيون الجدد.
- التصميم الذكي.
- والتطور الألوهي.

ويحسن بالمتصدر لهذا الشأن الإلمام بنبذة مختصرة تعريفية بكلٍّ من هذه العقائد قبل البدء بدراستها على نحو من بالتفصيل، ولا بأس من الإلمام بموضوع التولد الذاتي وغيره من النظريات البائدة.

▪السوابق العلمية لنظرية التطور

ولابد أيضًا بالباحث بالوقوف على السوابق العلمية "السلف داروين" عبر التاريخ في اليونان والرومان، والتاريخ المسيحي واليهودي، ثم التاريخ الإسلامي، ثم الإرهاصات التي سبقت إعلان دارون للداروينية، ثم النظريات والمذاهب التي مهّدت لظهور نظرية التطور، وأسباب ظهور النظرية وتحولها من نطاق الخرافة إلى نطاق العلم، ثمّ سرد لوضع نظرية التطور كما ذكرها دارون إجمالًا، مع التعديلات التي لحقت بها بعد ذلك، ومعرفة أهم الشخصيات التي ترد أسماؤها عند الحديث عن الداروينية.

▪الموقف العلمي والمجتمعي والديني من نظرية التطور

بعد ذلك لابد من معرفة ردود أفعال المجتمع تجاه النظرية، شاملة العلماء التجريبيين قديمًا وحديثًا، والتعديلات التي لحقت موقف العلماء تجاه تلك النظرية، كذلك موقف الكنيسة الرسمي ثم ما لحق بموقفها من تغيرات. ومن الأهمية أيضًا الإلمام بمواقف علماء اللاهوت والقساوسة بمرور الوقت، وكذلك موقف اليهودية والهندوسية والبوذية من النظرية، وموقف الإسلام والمسلمين من تلك النظرية.

▪ تاريخ النظرية التطورية

لابد أيضًا من معرفة الأطوار التاريخية للنظرية الداروينية بداية من المنع من أن تدرس في المدارس، إلى أن أصبحت مقررًا في المدارس والجامعات، ونظرية معتمدة في المجلات العالمية المشتهرة، والقضايا التي رُفعت في المحاكم الأمريكية والأوربية خلال هذه الرحلة، وكيف دخلت تلك النظرية إلى الأراضي المسلمة بدايةً من المدارس الهندية على يد الهندي أحمد خان، إلى الأراضي العربية على يد شبلي شيميل ومن بعده إسماعيل مظهر، وكيف كان موقف الكتاب والعلماء والمشايخ على اختلاف اتجاهاتهم من النظرية، وكيف تغيرت هذه النظرة وصولًا إلى عبد الصبور شاهين رحمه الله ومن تلاه.

من المهم أيضًا الإلمام بنظرية التطور الألوهي، معناه، وكيفية ظهوره، وأبرز المؤيدين له من العلماء في الغرب، وموضعه داخل الحقل العلمي والجامعات والمجلات العلمية، وموقف الداروينيين والتطوريين منه ومن معتنقيه، وكيف تسرب هذا المعتقد إلى الأراضي المسلمة والمفكرين المسلمين، ثمّ يعقب ذلك ذكر اللاماركيين الجدد فيُقال فيهم ما قيل في التطور الألوهي، ثمّ يعقب ما يتعلق بالتصميم الذكي، فيُقال فيه ما قيل في التطور الألوهي، مع التنبه للفروق بين التصميم الذكي والخلق الذي ورد به الوحي.

▪ تأثير الداروينية على العلوم الأخرى

وحتى تكتمل وتتكامل المنظومة المعرفية عن الإلحاد لابد من فهم أثر التطور الدارويني في مختلف العلوم، كعلم اللغة وعلم الاجتماع وعلم النفس والأخلاق وغيرها من العلوم التي أثرت فيها الداروينية بشكلٍ أو بآخر، وعلى الجانب الآخر لابد من بيان أثرها في الواقع، بإطلالة على eugenics والتاريخ الأسود للداروينية في الحروب والإبادات.

▪ المرأة في نظرية التطور

كذلك ينبغي أن يكون هناك إلمام بموقف المرأة ومكانها من نظرية التطور، وكيف تكون نظرة الملحد للمرأة من خلال نظرية التطور، وهي نقطة في غاية الأهمية لاسيما حين يثير الملحد قضية المرأة في الأديان، وكذلك يُوضّح موقف الأعراق البشرية في نظرية التطور، والنظرة العرقية التي تنشرها النظرية في البشر، وهي كذلك تفيد حين يثير الملحد قضية المساواة بين البشر.

من خلال ما سبق تتبلور صورة واضحة متسلسلة في ذهن الباحث والمتصدر لهذا الشأن فيما يتعلق بنظرية داروين وكيف وصلت إلى ما هي عليه الآن، وفهم علاقة الإلحاد بالداروينية، وهل يمكن أن يوجد ملحد غير تطوري، وهل الإلحاد يلزم من الداروينية، والخلاف

بين الملاحدة المعاصرين على ذلك، ونبذ المتعقلين مثل مايكل روس لآراء متعصبة كرأي دوكنز أن الداروينية لابد أن تؤدي للإلحاد.

وبعدها يمكن البدء بدراسة الأدلة التي يستند إليها التطوريون، وتحليلها فلسفيًّا لتوضيح معنى هذه الأدلة؛ لاسيما لأولئك الذين يدعون إلى التطور الألوهي، بتناول تلك الأدلة المدَّعاة واحدًا تلو الآخر؛ من حفريات، إلى أعضاء أثرية، إلى جينات عديمة الفائدة، إلى غير ذلك من أدلتهم، حتى يتثنى للمتصدر الرد على تلك الأدلة وعلى النظريات والمذاهب التي مهّدت لظهور نظرية داروين –قد سبق الإشارة لذلك في أول الكلام– وإبراز المشكلات الفلسفية والعلمية التي تمنع من قبول نظرية التطور، حينئذ يكون الدارس قادرًا على فهم النظرية والتفريق بينها وبين الحقيقة.

وكتتمة للدراسة يجب استقصاء –قدر المستطاع– العلماء التجريبيين الذين لا يؤمنون بنظرية التطور، مع بيان سبب تدريس نظرية التطور وحدها في الجامعات، مع التنبه إلى ما تقرر من أن الحق لا يُعرف بالعدد ولا بالأشخاص، كما أن إجماع العلماء التجريبيين ليس كإجماع علماء الإسلام كما يظن الملاحدة، هذا إن فرضنا تحقق الإجماع المزعوم.

▪الحياة الاصطناعية Artificial life

وقريب من مبحث التطور ما يتعلق بالحياة الاصطناعية، ويعتبر هذا المجال من مباحث التكنولوجيا وعلوم الكمبيوتير التي لها ارتباط بعلم الأحياء، وهو مثالٌ لكثيرٍ من الأسئلة حول معناه، وهل يعني قدرة الإنسان على الخلق؟ أو هل اقترب الإنسان من شيءٍ من ذلك؟ كلها قضايا غامضة تحتاج لدراسة لمن أراد الإلمام بهذا الباب.

▪علم الأعصاب Neuroscience

يحاول الملاحدة من خلال هذا العلم طرح تفسيرٍ ماديٍّ لكل ما يعدّه المؤمنون تميّزًا للإنسان وكرامةً له، فيحاولون بذلك نزع أية كرامة في وعي الإنسان وقدرته على التفكير، إلى نزع الإرادة الحرة عن الإنسان، إلى إنكار الحياة الآخرة، إلى التفسير المادي لسلوكيات الإنسان سواءً أكانت خلقًا حميدًا؛ كالتعاون، أو جرمًا أثيمًا؛ كالشذوذ الجنسي، فلا مزيّة للإنسان عما سواه في الكون، كلها قضايا تحتاج لدراسة وبحث لمن أراد الإلمام بهذا الباب.

▪الحياة خارج كوكب الأرض Extraterrestrial life

إمكانية الحياة خارج كوكب الأرض تعتبر من الموضوعات الشائكة التي تحتاج عرض لأهم المستجدات العلمية المتعلقة بها، مع بيان لموقف المسلمين من هذه القضية، مع الفهم الجيد لمحل الشبهة في وجود مثل هذه الحياة والإجابة عليها.

▪ الفيزياء بفروعها المختلفة:

يعتبر فهم "النظريات الكاملة والموحدة للفيزياء" من أهم المجالات البحثية التي ينبغي على من تصدر لهذا الشأن الإلمام بها، ويمكن إجمال أهم المباحث المتعلقة بهذا الشأن في النقاط الآتية:

- المعرفة بأنواع الفيزياء ومجالاتها وتطوراتها.
- قوانين الطبيعة: ما معناها؟ وهل وجودها حقيقي؟ أم هي من اختراع العقل البشري؟
- الخلق من عدم creation ex nihilo وحوادث لا أول لها: بسط وشرح لهذه القضية.
- الانفجار العظيم The Big Bang: معناه، ثبوته، علاقته بالإيمان، علاقته بالخلق من عدم، هل يصح الاستدلال عليه بالقرآن الكريم؟ كيف يستدل به بعض الملاحدة على الإلحاد؟ وما الرد عليهم؟
- الأوتار الفائقة Superstring theory: ويُقال فيها ما قيل في الانفجار العظيم.
- الأكوان المتعددة multiverse theory: يقال فيها ما قيل في الانفجار العظيم.

- نظرية M أو نظرية الأغشية Membranes: ويُقال فيها ما قيل في الانفجار العظيم.

Hartle-Hawking model وعلاقته بالإلحاد والرد عليه.

- نظرية كل شيء Theory of everything: يُقال ما قيل في الانفجار العظيم.
- هل هناك تصميم في الكون؟
- حجم الكون: هل هذا الحجم الهائل وُجد من أجل هذا الإنسان الضعيف؟
- عمر الكون: هل هذا الكون الممتد في القدم وجد من هذا الإنسان الضعيف؟
- علاقة الأرض بالكون: نظرة إلى موقع الأرض من الكون، والنظرة إلى شكل الأرض، وعمرها، ودورانها، وعلاقتها بالشمس، الخلاف في ذلك قديمًا، استحضار للشبهات التي توجه للدين في هذه القضايا، والرد عليها، والتفرقة بين النصرانية والإسلام في هذا الصدد.
- الفيزياء الكلاسيكية: هل الحتمية تنفي العناية الإلهية؟ هل تنفي تصرف الخالق في الكون؟

– الفيزياء الكلاسيكية: هل تنفي إرادة الإنسان الحرة؟

– القانون الثاني للديناميكا الحرارية: هل يثبت وجود الخالق؟ كيف يستعمله الملاحدة وكيف يفهمونه؟ ما الرد عليهم؟

– النظرية النسبية: هل لها صلة بالإلحاد، وهل يمكن استعمالها في الرد عليهم؟

– تأويلات فيزياء الكم: نظرة عامة.

– الصراع داخل المدرسة الكوانتية: نظرة عامة.

– فيزياء الكم: هل ينفي مبدأ الريبة لهايزنبرغ السببية؟

– فيزياء الكم: هل يصح استعمال المؤمنين فيزياء الكم في إثبات بعض القضايا الغيبية؟

– فيزياء الكم: هل تعني Double slit experiment أن البدهيات قابلة للتشكيك؟ وأن ما كنّا نعده بالأمس بدهية قد يصير غدًا موضعًا للشك؟!

▫ الرياضيات والمنطق الرياضي

كذلك الرياضيات والمنطق الرياضي من أهم الموضوعات التي ينبغي على من تصدر لهاذ الشأن الإلمام بها، ويمكن إجمال أهم المباحث المتعلقة بهذا الشأن في النقاط الآتية:

- نظريات كورت جودل Gödel’s First Incompleteness Theorem، وكيف يستدل بها على بطلان الإلحاد، وكيف يظن الملاحدة أن فيها حجةً لهم والرد عليهم.

- معنى اللانهاية: من المفاهيم التي تُطرح كثيرًا لتعلقها بقضايا فلسفية وحتى أمثلة توضيحية، وفهم معناها والمقصود بها ضروري في هذا المجال.

- الاحتمالات: يقوم بعض الملاحدة بنفي وجود الخالق على أساس احتمالي، وعلى الجانب الآخر يقوم بعض المؤمنين بإثبات عقيدتهم على أساس احتمالي، وهذا وذاك ينبغي أن يعيا معنى الاحتمالية، والنطاق الذي يسوغ طرحها فيه، والنطاق الذي تساوي فيه الشك الذي لا يفيد علمًا.

▫ علم الاجتماع:

من الأهمية بمكان تناول ودراسة موضوعات هذا العلم فيما يتعلق بدراسته للأديان، والأسئلة التي يطرحها، وبيان درجة المعرفة المتولدة عن هذا العلم من حيث الظن واليقين، مع الإلمام الجيد بأشهر النظريات التي يكثر استعمالها على ألسنة الملاحدة طعنًا في الدين، مثل نظرية أوجست كومت، وماركس، وإميل دوركايم، وغيرهم، مع بيان قيمة هذه النظريات في الوقت الراهن، وتفنيدها إمعانًا في بيان تهافتها.

▢ الأنثروبولوجيا:

أيضًا الأنثروبولوجي وموضوعات هذا العلم فيما يتعلق بدراسته للأديان والأسئلة التي يطرحها =ضرورية في فهم الإلحاد، فلابد من دراسته للوقوف على درجة المعرفة المتولدة عن هذا العلم من حيث الظن واليقين، مع الإلمام لأشهر النظريات التي يكثر استعمالها على ألسنة الملاحدة طعنًا في الدين، مثل نظرية إدوارد تايلور، وجايمس فريزر، وغيرهما، وفهم قيمة هذه النظريات في الوقت الراهن، وتفنيدها إمعانًا في بيان تهافتها.

▢ علم النفس

لابد من تناول لأهم نظريات هذا العلم التي يستعملها الملاحدة في مصادمة الدين، مع بيان قيمة هذه النظريات في الوقت الراهن، وتفنيدها إمعانًا في بيان تهافتها، مثل:

- Feuerbach theory
- Frued psychoanalysis
- Evolutionary psychology "Pascal Boyer & Lionel Tiger"

وكذلك من ضبط جيد لفلسفة علم النفس Philosophy of psychology وبيان أهم الموضوعات التي تتناولها مما له صلة بقضية الإيمان والكفر، مع الإلمام بموقف مدارسها المختلفة تجاه هذه الموضوعات، والإطلاع على أهم المراجع في هذا الشأن.

▫ فلسفة اللغة Philosophy of language:

من الضروري أيضًا الإلمام بموضوعات هذه الفلسفة من الحديث عن أصل اللغة، والتطور اللغوي، والعلاقة بينها وبين العقل والعالم الخارجي والمعنى، وغيرها من الموضوعات ذات الصلة بقضية الإلحاد، مع ضبط الموقف منها، والوقوف على أهم المراجع المفيدة في هذا المجال.

◈ الملحد ومعنى الحياة

من العناصر الأساسية في طرح الملحدين أن يتم تصوير حياة الملحد على أنّها حياة سعيدة، هو يعيش في سعادة تامة له أهدافه تمامًا كما كان أيام الإيمان، فقد أصبح متحررًا من القيود والأغلال، ويصحب ذلك العنصر غالبًا اتهامًا للمؤمنين بأنّهم يحيون حياة ملؤها السعادة المزيفة، وأنهم يطمعون في الحياة الأخرى التي لن تأتي، وهكذا يصوّر الملحد لغيره أن حياته مليئة بالمعاني!

وفي إطار عملية تبديد الأوهام الإلحادية ينبغي على من تصدر لهذا الشأن الوقوف على أهم الشهادات المتعلقة بهذا الشأن (على سبيل المثال: كلام إسماعيل أدهم في كتاب لماذا أنا ملحد مقارنة بوصيته التي كتبها قبل أن يتعجل منيته بيده).

▣ العبادة

من الأسئلة التي يحتاج المتصدر لطرحها وضبطها بأسلوب أخّاذ ويكثر طرحُها سؤال "لماذا خلقنا الله؟!"، والإجابة بأننا خُلقنا لنعبد الله تحتاج تجديد وتجلية وتقريب، وإبرازٍ للمعاني النبيلة التي يتضمنها هذا المفهوم، مفهوم "العبودية" لله وحده، وكيف أن الإنسان مخلوقٌ عابد يبحث عمّن يلوذ به، وفي نفس الإطار لابد للمتصدر من ضبط موضوع الفطرة والمراد بها، مع الإلمام بكل ما يتعلق بالحاجة البشرية والميل الإنساني للعبادة، وأنّ من لم يعبد الله عبد غيره ولو كان هوى نفسه التي بين جنبيه أو حتى الشيطان!

▣ الصحة النفسية

من المواطن التي ينبغي على من تصدّر لهذا الشأن إحكامها، وتكون الكِفة فيها راجحة في صالح المؤمنين حتى باعتراف الملاحدة في كثيرٍ من الأحيان، ويتأكد ذلك بالإحصائيات والدراسات النفسية المنتشرة التي تؤكد على حاجة الإنسان والمجتمع للدين.

وفي نفس الإطار يبرز سؤال: هل العلم التجريبي بدون إيمان يورث السعادة؟ وهل يوم أن يظن أهل الأرض أنهم قادرون عليها سيكونون سعداء؟! كثيرًا ما يكون الجواب على الملاحدة الغربيين بإحالتهم إلى الفيلم الوثائقي Dangerous knowledge الذي يحكي عن أربعة من عظماء الرياضيات وهم جورج كانتور وبولتزمان وجودل وآلان تورنج، وكيف انتهت حياتهم بالجنون

والانتحار، فلابد إذن من ضبط وجمع كافة المواد التي تبرز تلك الإشكالية وتبينها بيانًا شافيًا.

▣ القضاء والقدر

يمكن القول أن موضوع القدر من أكثر الأمور الملتبسة في عقول الملاحدة، وعند نسبةٍ لا بأس بها من المسلمين، فلابد إذن من ضبط في هذا المقام جيدًا، والتأصيل المتقن لمعنى القضاء والقدر، وهل للإنسان إرادة حرة؟ وكيف يؤمن المسلم بالإرادة الحرة مع إيمانه بعلم الله ومشيئته وخلقه أفعال العباد؟ وهل هناك عدلٌ في هذه الأرض؟ وما ذنب أولئك الذين ولدوا غير مؤمنين؟! وغيرها من الأسئلة الكثيرة التي يكثر طرحها تحت مظلة القضاء والقدر، ومع هذه النقطة ينبغي أن يكون المتصدر في هذا المجال على إلمام بفرع من فروع الفلسفة وهو:

▪ فلسفة الوقت Philosophy of time

يتناول هذا الموضوع الكثير من النقاط التي لها تعلق بمباحث القضاء والقدر العقدية، مثل الجبر Fatalism والخلود Eternalism والسفر عبر الزمن Time travel، والبعد الرابع، وجدلية ماكتجرت بأن الزمن لا وجود له وغيرها من الموضوعات التي تتناولها هذه الفلسفة. فلابد إذن من الإلمام والوقوف على أهم المراجع في هذا الشأن.

▣ الملحد والانتماء

هل يشعر الملحد بانتماءٍ لمجتمع يرى أنّه ليس إلا جماعة متخلفة؟! هل يشعر الملحد أنّه جزء من أمة تسعى للنهضة؟! هل يحمل الملحد رسالةً في حياته بخلاف الهروب للخارج؟! هل يعي الملحد موضع قدميه في صراع الحضارات؟

أسئلة كثيرة توضح بجلاء إشكالية الانتماء عند الملحد، أسئلة تحتاج لضبط وتحديد في الطرح وفهم جيد للأبعاد النفسية والحضارية، التي شكلت أو شوهت فكرة الإنتماء عند الملحدين.

▪ الملحد والنفاق: هل يعتاد الملحد النفاق؟

وفي نفس الإطار ينبغي التنبه للعلاقة بين الإلحاد والنفاق والإلمام بالجذور التاريخية للعلاقة بينهما (الزندقة)، وفهم جذورها النفسية والاجتماعية، وكيف ساهمت تلك الظاهرة في تشكيل الإلحاد وكيف أثرت في علاقة الملحد بمجتمعه.

▣ لماذا نحن متخلفون؟ وهم متقدمون؟

سؤال غالبًا ما يطرحه الملحد، وهو سر من أسرار الإلحاد النفسي الذي يجعل الملحد متقبلًا لكل وافدٍ من الغرب ولو كان كفرًا؛ فينبغي على من تصدر الإلمام بالأدوات التي تساعد على تفتيت هذا السؤال، وأهم هذه الأدوات القدرة على استحضار التاريخ والسوابق الحضارية في إطار مقارنة الماضي بالحاضر، والمقارنة بين الغرب

والشرق قديمًا وحديثًا، ويحسن التطرق إلى فكرة التقدم Idea of progress كفكرة فلسفية في تفسير التاريخ، والإلمام ببدائلها وضبط الموقف الحق منها.

◈ الإلحاد والتاريخ

أشرنا إلى ذلك من قبل عند الحديث عن الأنثروبولجي وما يتعلق بها من دراسة التجمعات البشرية على مدار التاريخ، فالعلاقة بين موضوعات الإلحاد والدراسات التاريخية شديد الصلة، ولذلك تعين على كل من تصدر لهذا الشأن الإلمام الجيد بالإشكاليات التاريخية التي تمس القضايا العقائدية وضبط لأهم الشبهات التي يطرحها الملحدون في هذا الإطار، والإطلاع على أهم الكتب والأبحاث المتعلقة بهذا الموضوع الشائك، ونشير باختصار إلى أهم الموضوعات والعناوين التي ينبغي تناولها بقدر من الدراسة والضبط:

- موقف الملاحدة من التاريخ كعلم؟
- الرد على قولهم "التاريخ يكتبه المنتصر"؟
- البرهان على أنّ التوحيد هو الأصل وأن الإلحاد طارئ.
- الإلحاد والوثنية.
- ارتباط الإلحاد بعصور الانحلال والخرافة عبر التاريخ.
- أسباب بزوغ الإلحاد في أوربا الحديثة.
- ارتباط بزوغ الإلحاد بأوربا الحديثة بخرافة وحدة الوجود.

- موقف الإلحاد من المذاهب والأديان وموقفها منه.
- ماذا حدث في الدول التي اقتربت من الإلحاد أو عاشته؟
- هل الدماء تسيل بسبب الأديان وحدها؟
- الإلحاد والعنف Militant atheism.
- أثر الإلحاد على المجتمع.
- الإلحاد والجريمة.
- الإلحاد والعنف.

◈ رموز الإلحاد:

لابد أيضًا من دراسة تاريخ الإلحاد ومعرفة أهم رموزه المعاصرة من العلماء والفلاسفة والأدباء وغيرهم، مع الإلمام بأصولهم، وأسباب إلحادهم، وسيرتهم الأخلاقية والمهنية، ومؤلفاتهم والأفكار والمبادئ التي يعتنقونها، ونذكر منهم على سبيل المثال:

كارل ساجان، كريستوفر هتشنز، دانيل دانيت، مادلين موراي، مايكل مارتن، كاي نلسن، ستفين جاولد، آيان علي، كورلس لامونت، جور فيدال، بول كورتز، سلمان رشدي، سام هاريس، ريتشارد دوكنز، لويس ولبرت، ستيفن ونبرج، جوليان باجيني، وغيرهم..

ولابد أيضًا من معرفة رموز الإلحاد عبر العصور، أولئك الفلاسفة الذين حاولوا الانتصار للإلحاد، أو بُني على فلسفاتهم الفكر الإلحادي بصورةٍ ما.

ورغم ندرة المراجع التي اعتنت بجمع تاريخ أهم رموز الإلحاد قديمًا وحديثًا، إلا أن الحاجة إلى تتبع سير هؤلاء والوقوف على أفكارهم وإنتاجهم وطبيعة أفكارهم ضرورة في إطار دراسة تلك الأفكار وتفنيدها، لأنّ العلم بالمخالفين وأقوالهم يُكسب هيبةً في نفس من تتصدى لإقناعه، بخلاف الجهل بهم فإنه يدل –عند الملحد على الأقل– أنّك لم تعرف ما يقوله رؤساء فكره، وبالتالي فلن تستطيع الرد عليهم!

◈ البرهان على طريق الإيمان

بعد أن تبين مما مضى طبيعة الفكر الإلحادي، وأهم أصوله الفكرية والعلمية، وبعد أن أشرنا إلى أبرز نظرياته ورموزه. يبقى التأكيد على ضرورة ضبط الدرس العقدي والإلمام الجيد بأدلة الإثبات، والقدرة على إثبات صحة دين الإسلام من خلال الأدلة العقلية ونصوص الوحيين التي لا تخلو من أدلة عقلية منضبطة بعيدة كل البعد عن حيرة الفلاسفة وتخبط المتكلمين؛ الذين أفسدوا الدرس العقدي بصفائه ووضوحه؛ فلا الدين نصروا ولا الباطل كسروا. فلابد من البناء بعد الهدم، فجدير بمن تصدر أن يحيط بأدلة الإيمان، ويحسن طرحها في ثنايا الرد، فكلام الله خير الكلام وأحسن الهدي هدي محمد، والأمر كما قال ربنا: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[الفرقان: ٣٣]

◈ الختام

وبعد أن تناولنا أهم موضوعات الإلحاد وأصوله وأبرز إشكالياته، وأشرنا باختصار لما ينبغي دراسته وضبطه من علوم وموضوعات، وأرشدنا إلى أهم الآداب والطرق العلمية والجدلية التي يحتاجها من تصدر للرد على الطرح الإلحادي -نذكّر بأن هذه الورقات المختصرة ليس الهدف منها تناول موضوع الإلحاد على نحو من التفصيل، بل هي إضاءات على الخارطة الإلحادية لكشف ما خفي منها، وشذرات في إطار فهم الحالة الإلحادية بتجلياتها المختلفة، وإشارات وإرشادات مختصرة لما نظنه أمثل الطرق في الرد على تساؤلات الملحدين وتفنيد شبهاتهم. والله نسأل أن يجعل هذا العمل هاديًا لمن وفقه الله للقيام على هذا الثغر، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.